بسم الله الرحمن الرحيم

(أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية الصحابة)

د . خلود "محمد أمين" محمود الحواري

أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة

المدينة المنورة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا يخفى على أحد مظاهر الحياة التي عاشها الصحابة رضي الله عنهم قبل الإسلام وقبل نزول القرآن، وما تحمله من ملامح الشخصية السلبية التي سطر القرآن بعضها؛ فقال تعالى ممتنا عليهم : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) [آل عمران: ١٠٥].وقال (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) آل عمران (١٦٤).وكيف أثر القرآن الكريم في هذا الجيل المبارك فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وأبدلهم بالذل عزا ، وبالخوف أمنا، وبالتأخر تقدما، وبالأمية علما.

ويجيء هذا البحث لبيان أبرز معالم ومقومات شخصية الصحابة التي تأثرت بتدبّرهم للقرآن الكريم ؛ من خلال ما صح من أخبار سطرتها كتب التفسير، والحديث، والسير والتراجم، لمواقف من تدبرهم، أثرت في بناء شخصياتهم باستثمار التدبر في بناء الشخصية الإيجابية ، فعمر رضي الله عنه مثلا تحول من رجل يُعذّب على الإسلام، إلى رجل عُذِّب في الإسلام ، إلى رجل أعزّ الله به الإسلام،

أهمية البحث: تظهر أهمية الموضوع في بحثه أثر تدبر القرآن في بناء شخصية الصحابة، أعظم أجيال التاريخ ،التي هي خير مثال للشخصية الأسلامية ، وإكسابها مقومات النهوض، والإيجابية، والتأثير. مما يحقق القدوة ويسهم في إعادة بناء شخصية المسلمين اليوم بربطها بما اعتمده صحابتنا الكرام ــرضوان الله عليهم ــمن مصادر في تكوين شخصياتهم وحث الخلف على الاقتداء بخير سلف رضي الله عنهم في تدبرهم القرآن الكريم فنفيد كما أفادوا، وننهض كما نهضوا، ونسود كما سادوا.

مشكلة البحث: يمكن تلخيص مشكلة الدراسة بالأسئلة الآتية : لم كان الصحابة نموذجا للشخصية الإسلامية ،وأعلاما على فهم القرآن وتدبره ؟ وهل أثر تدبرهم للقرآن في بناء شخصيتهم ؟ وما هي أبرز جوانب هذا التأثير ؟

حدود البحث: تقتصر الدراسة على بيان أبرز مقومات شخصية الصحابة التي بنيت على أساس تدبر القرآن من خلال ما سطرته كتب التفسير، والحديث، والسير والتراجم، لمواقف من تدبرهم مما يصلح للاحتجاج أو الاستشهاد .

منهج البحث:اتبعت في البحث المناهج التالية :المنهج الاستقرائي: وذلك لجمع المادة العلمية من مظانهامقتصرة على مقبول الأخبار الصحيح منها والحسن فلم بأثر ضعيف ، ثم المنهج التحليلي لتحليل النصوص ثم الاستنباطي: لاستنباط المعاني والفوائد.

خطة البحث:وقد اقتضت طبيعة البحث التقسيم التالي :

مقدمة: وتحتوي على أهمية البحث ومشكلته وأهدافه ومنهجية دراسته.

تمهيد: وكان مدخلا للموضوع وقفت فيه مع تعريف الشخصية الإسلامية ومقوماتها وعناية الصحابة بتدبر القرآن الكريم .

المبحث الأول: **أثر تدبر القرآن في بناء مقومات شخصية الصحابة** وفيه مطالب :

المطلب الأول :المقوم العقدي

المطلب الثاني :المقوم التعبدي

المطلب الثالث :المقوم السياسي (الولاء والبراء)

المطلب الرابع :المقوم السلوكي والأخلاقي

المطلب الخامس:المقوم الاقتصادي ...ثم الخاتمة ....والله من وراءالقصد

التمهيد :

الشخصية الإسلامية بحث رحب المجال، توراد عليه كثيرون، واختلفت مشاربهم في تحديد مقصودها وتعيين معالمها ومقوماتها. ولعل أقرب ما قيل في ذلك أن الشخصية الإسلامية " شخصية إنسانية تمثلت روح القرآن، وبرزت مكوناتها عقليةً تصدر في نمط تفكيرها، وتحدد مساراتها، وتحكم شؤون حياتها على أساس الإسلام "(١).

وأما مقومات الشخصية فهي:" الأسس والمرتكزات العقدية والعلمية والتعبدية والخلقية والاجتماعية.. التي تمثل ضوابط بناء الشخصية ومعايير سلوكها وفكرها"(٢)؛ مما يجعلها شخصية فاعلة إيجابية.

ولما لم يتمثل المسلمون اليوم روح القرآن – إلا من رحم الله- لم يتمثلوا الشخصية الإسلامية،؛ فلم يكن الواقع هو الأمل المنشود؛ ولذا كان لا بدّ من السعي لتكوين الشخصية الإسلامية من جديد.

ولما كانت القدوة هي أهم أساليب التربية والبناء، كان لزاما أن نتأمل حال من مثلوا هذه الشخصية خير تمثيل، وغدت مقوماتها سجية توجه سلوكهم في أنفسهم ونحو خالقهم ومع الناس، تلقفوا نور الوحيين، ووعوهما حق الوعي، وعلوا ومكن لهم في الأرض، وكانوا خير المتلقين على الإطلاق. أولئك هم سادتنا صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- رضوان الله عليهم أجمعين .

في شخصية الأصحاب رضوان الله عليهم- تظهر المثالية، وتبرز التخلية والتحلية، ويتحقق التحول الكامل في المعتقدات، والتبديل في المنهاج ." فقد وجدت الأمة من عطاء عقيدتها ما حررها من أغلال الشرك ووثنية المادة، وما مزق عن بصيرتها من حجب الغفلة غشاوة الجهل، ففتحت الدنيا، وسارت من مجاهل الطرق إلى آفاق الفضاء"(٣).

ولا تزال كلمات جعفر بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــللنجاشي تقرع أسماع التاريخ حيث قَالَ: " أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ إِلَى الْجَارِ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، كُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْنَا

---

(١) بناء الشخصية المعاصرة، باسمة العسلي، (ص:٢٤٨)

(٢) مقومات الشخصية الإسلامية، إبراهيم الزاملي (ص:١٨).

(٣) الشخصية الإسلامية- دراسة قرآنية-، بنت الشاطىء، (ص:٢٢-٢٣) بتصرف يسير.

رَسُولا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ... فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ لَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا حَلَّلَ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ.." (١).

وبذا يظهر أن شخصية الصحابة – رضي الله عنهم – تكونت بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم– أعظم شخصية على الإطلاق، وفي رحاب القرآن وعلى هدي السنة التي كانت الوسائل.

وحتى نتمثل الشخصية المثالية علينا العود إلى وسائل تحقيق هذه الشخصية، ولما كان القرآن هو المنبع الصافي اتجهت إليه همة الصحابة فهما وتدبرا وعملا ، يفزعون إليه مرارا وتكرارا، وقد وعوا قوله تعالى : (**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**) (ص: ٢٩) فلا يجني المعاني المباركة إلا الذين يتدبرون آياته.

ومعنى التدبر هو: "التفكر الشامل، الموصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة "(٢). " فهو التفكر والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدراك معانيه، وحكمه والمراد منه"(٣).

قال ابن القيم : (فإن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة وانعقاد الصلاة عليه؛ بل أنزل ليتدبر ويعقل، ويهدى به علما وعملا، ويبصر من العمى، ويرشد من الغيّ، ويعلم من الجهل، ويشفي من الغيّ، ويهدي إلى صراط مستقيم)(٤).

وقال الآجري:(أَلا تَرَوْنَ رَحِمَكُمْ اللهُ إِلَى مَوْلاكُمْ الْكَرِيْمِ ؛ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهَ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلامَهُ ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلاهُ الْكَرِيْمُ ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، كَانَ

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام (٢/ ١٧٩)

(٢) قواعد التدبر ، الميداني (ص: ١٠)

(٣) مفاتيح تدبر القرآن، اللاحم (ص:١٥)

(٤) الصواعق المرسلة، ابن القيم (١/ ٣١٦)

الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً ، فَاسْتَغْنَى بِلا مَالٍ ، وَعَزَّ بِلا عَشِيرَةٍ ، وأَنِسَ بِمَا يَسْتَوحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ تِلاوَةِ السُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا : مَتَّى أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُوهُ ؟ ، وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ مَتَّى أَخْتِمُ السُّورَةَ ؟ ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُ : مَتَّى أَعْقِلُ عَنْ اللهِ الْخِطَابَ ؟ ، مَتَّى أَزْدَجِرُ ؟ ، مَتَّى أَعْتَبِرُ ؟ ، لأَنَّ تِلاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ ، وَالْعِبَادَةُ لا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ) (١).

(والصحابة الكرام على رأس السلف الصالح ممن يقتدى بهم في فهم القرآن وتدبره؛ وإنما وجب لهم هذا التقدم للمعرفة التامة باللسان العربي، وخلوص السليقة، ومباشرة النوازل والوقائع، والإحاطة بالقرائن الحالية وأسباب النزول، والتضلع من مقاصد الوحي؛ بل إنهم عاصروه وصاحبوه آناء الليل وأطراف النهار، متجردين للفهم، حريصين على التدبر، متقربين بذلك إلى الله عز وجل، فما أجدرهم باستجلاء سره، ودرك كنهه) (٢).

وقد أثمر التدبر في قلوب الصحابة –رضوان الله عليهم– تأثرا: ظهرت دلائله، وبانت أمارته ، من وجل وخشوع، وبكاء وخشية، وهي سمات أثنى القرآن الكريم على صاحبها، فقال: (**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**) .(الزمر:٢٣)

قَالَ قَتَادَةُ : (هَذَا نَعْتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ نَعَتَهُمُ اللَّهُ أَنْ تَقْشَعِرَّ جُلُودُهُمْ ، وَتَبْكِي أَعْيُنُهُمْ ، وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) (٣).

وقال السعدي : (حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم،...ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثَّر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا قال تعالى: { **تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** } لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، { **ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ** }

---

(١) أخلاق حملة القرآن، الآجري (ص:٣)

(٢) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، الريسوني (ص:٤٣٥)

(٣) التفسير ، عبدالرزاق الصنعاني (٣/ ١٣٠).

أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر.{ **ذَلِكَ** } الذي ذكره اللّه من تأثير القرآن فيهم { **هُدَى اللَّهِ** } أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، { **يَهْدِي بِهِ** } أي: بسبب ذلك { **مَنْ يَشَاءُ** } من عباده) (١).

والآثار التي تبين عن عظيم تأثر الصحابة وتفاعلهم مع القرآن كثيرة منها ما روي عن الحسن قال: (قرأ عمر بن الخطاب: {**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** }{**مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ** } (الطور: ٧ و٨) فَرَبا منها ربوة عِيد منها عشرين يوماً)(٢).

وعن عبد الله بن شدَّاد بن الهاد قال:(سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في لصلاة الصبح وهو يقرأ سورة يوسف، حتى بلغ: {**إِنَّمَآ أَشْكُو بَثّى وَحُزْنِى إِلَى اللَّهِ**} (يوسف: ٨٦)) (٣).

وعن هشام بن الحسن قال:(كان عمر يمر بالآية فتخنقه، فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضاً) (٤).

وكذا روى (مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ {**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ**}(الطور:٣٥-٣٧) كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ) (٥).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٢٢)

(٢) فضائل القرآن ، القاسم بن سلام (ص: ١٣٧)

(٣)المصنف، ابن أبي شيبة ٣١٢/١

(٤)المصنف، ابن أبي شيبة ٩٥/٧، أحمد / الزهد ص١٤٩

(٥) الصحيح، البخاري ،كتاب التفسير، باب تفسير سورة { والطور } (٤/ ١٨٣٦) ح٤٥٧٣

قال الخطابي :(إِنَّمَا كَانَ انْزِعَاجُهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الآيَةِ ، لِحُسْنِ تَلَقِّيهِ مَعْنَى الآيَةِ وَمَعرِفَتِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَلِيغِ الْحُجَّةِ ، فَاسْتَدْرَكَهَا بِلَطِيفِ طَبْعِهِ ، وَاسْتَشَفَّ مَعْنَاهَا بِذَكِيِّ فَهْمِهِ) (١).

ولم يكن التأثر فقط هو ثمرة تدبر الصحابة ،إنما تعداه إلى العمل والامتثال لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فالعمل تصديق الفهم ،فمهما يتخذ الإنسان من التدابير ،ويستخدم من الوسائل لفهم القرآن ،فإنه لا يصل إلى جوهر القرآن وروحه كما ينبغي ،مادام هو لا يعمل وفق ما جاء به القرآن،فالقرآن كتاب دعوة وحركة لا تنجلي أسراره وحقائقه بمجرد المرور على حروفه والنطق بكلماته ، ولاتدرك مغزى أحكامه وتعاليمه الخلقية وتوجيهاته الاقتصادية والمدنية ومبادئه ونظمه في مختلف نواحي الحياة ما دام لا يطبقها في الحياة (٢).

ومن هذه المبادئ انطلق الصحابة -رضي الله عنهم- فجمعوا بين الأثر المجمل والمبين للتدبر ،أعني التأثر والتطبيق ،نظروا إلى كتاب الله فكانوا يعدون أنفسهم المقصودين بكل خطاب ،المأمورين والمنهيين أولا قبل غيرهم ، فتكونت مقومات شخصياتهم ،وأسس بنائها علي هدي القرآن وثمرة لتدبره وتأمل معانيه وفيمايلي بيان ذلك .

---

(١) الأسماء والصفات، البيهقي (٢/ ٢٧٠)

(٢) ينظر : المبادئ الأساسية لفهم القرآن ،أبو الأعلى المودودي (ص٥٢-٥٥)

المبحث الأول :أثر تدبر القرآن في بناء مقومات شخصية الصحابة.

المطلب الأول :المقوم العقدي

أولا : الثقة المطلقة بالله :

من أبرز ما يميز الشخصية المسلمة ثقتها المطلقة بالله في السراء والضراء، لا يخالجها شك بأن موعوده آت، فيكسبها ذلك إيجابية فتقدم بلا خوف ولا تردد، فالثقة بالله واللجوء إليه علامة الإيمان وسبيل المؤمنين، وزاد المتقين، وأمان الخائفين، وأمل العاملين .

وقد حفظت لنا كتب السير والتراجم مواقف لبعض الصحابة تبين أثر تدبرهم للقرآن الكريم في بناء اليقين على الله خاصة في المواقف الفاصلة ،ومن ذلك ما روي (عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ، يَذْكُرُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْه- أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ حُصِرَ بِالشَّامِ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: سَلَامٌ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَا نَزَلَ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مَنْزِلَةٍ شِدَّةٌ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَهَا فَرَجًا، وَلَنْ: يَغْلِبُ عَسْرٌ يُسْرَيْنِ **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** [آل عمران: ٢٠٠]، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ: سَلَامٌ . أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ **{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ . . . }[الحديد: ٢٠] إِلَى{مَتَاعُ الْغُرُورِ}**[الحديد: ٢٠]. قَالَ: فَخَرَجَ عُمَرُ بِكِتَابِهِ مِنْ مَكَانِهِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَرَأَهُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنَّمَا يُعَرِّضُ بِكُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ، أَوْ أَنِ ارْغَبُوا فِي الْجِهَادِ) (١).

فنلحظ في هذا الموقف الحاسم إرادة الفاروق أن يشد أزر أمين الأمة بدعوته للثقة بالله وتدبر الآية التي تحث على الصبر والثبات والتوكل على الله، ليجد أبا عبيدة قد أخذ مأخذا عميقا في تدبره للقرآن فأضحى المنصوح ناصحا ،والمحصور مخلصا ،مستحضرا ثقة مطلقة بالله ؛ فها هو يحث أهل المدينة على التضحية وتدبر حقيقة الدنيا، ليرغبوا بما عند الله. وهذا الكلام لا ينطقه إلا من أيقن عين اليقين أن ما عند الله آت .

ومن ذلك ما روى (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، فِي قِصَّةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ فَرَغَ مِنَ الْيَمَامَةِ قَالَ: فَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَهُوَ بِالْيَمَامَةِ: مِنْ عَبْدِ اللهِ، أَبِي بَكْرٍ، خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،

---

(١) الجهاد، ابن المبارك (ص: ١٦٤) ، وهو عند الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ وَلِيَّهُ، وَأَذَلَّ عَدُوَّهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ فَرْدًا ، فَإِنَّ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ هُوَ قَالَ: **{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}** [النور: ٥٥]- وَكَتَبَ الْآيَةَ كُلَّهَا وَقَرَأَ الْآيَةَ - وَعْدًا مِنْهُ لَا خُلْفَ لَهُ ، وَمَقَالًا لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَفَرَضَ الْجِهَادَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ}** [البقرة: ٢١٦]- حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَاتِ - فَاسْتَتِمُّوا بِوَعْدِ اللهِ إِيَّاكُمْ ، وَأَطِيعُوهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمُؤْنَةُ ، وَاسْتَبَدَّتِ الرَّزِيَّةُ ، وَبَعُدَتِ الْمَشَقَّةُ ، وَفُجِعْتُمْ فِي ذَلِكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسِيرٌ فِي عَظِيمِ ثَوَابِ اللهِ، فَاغْزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فِي سَبِيلِ اللهِ **{خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}** [التوبة: ٤١] كَتَبَ الْآيَةَ ...) (١).

فها هو أبو بكر رضي الله عنه لما جاء خبر الفتح تكلم كلام الواثق بما عند الله، فنطق بدرر تفوح عن تدبره لكتاب الله، واستحضاره ما فيه من معان عظيمة، فقال عن النصر : (وَعْدًا مِنْهُ لَا خُلْفَ لَهُ ، وَمَقَالًا لَا رَيْبَ فِيهِ)، ثم طلب منهم الحفاظ على شرط النصر مهما شق ذلك عليهم بقوله: (فَاسْتَتِمُّوا بِوَعْدِ اللهِ إِيَّاكُمْ ، وَأَطِيعُوهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمُؤْنَةُ ، وَاسْتَبَدَّتِ الرَّزِيَّةُ ، وَبَعُدَتِ الْمَشَقَّةُ ، وَفُجِعْتُمْ فِي ذَلِكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَسِيرٌ فِي عَظِيمِ ثَوَابِ اللهِ).

وكذا تظهر الثقة بنصر الله ووعده على لسان المتدبرين بما روي (أن عمر انتدب الناس للخروج إلى بلاد فارس، فقال: إنَّ الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة(٢)، ولا يقوى عليه أهلُه إلا بذلك، أين الطُّراء(٣) المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثَكُموها، فإنه قال: **{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}** (الفتح: ٢٨) والله مظهرُ دينه، ومعزّ ناصرِه، ومُولي أهلِه مواريث الأمم، أين عبادُ الله الصالحون؟. فكان أول منتدب أبو عُبيد بنُ مسعود، ثم ثنّى سعد بن عبيد أو سَليط بن قيس رضي الله عنهم) (٤).

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي (٩/ ٣٠٣) بسند صحيح إلى ابن إسحاق وهو مقدم في السير كما هو معلوم .

(٢) النُّجْعةُ عند العرب المذْهَبُ في طلَبِ الكلإِ في موضعه. لسان العرب، ابن منظور (٨/ ٣٤٧)

(٣) هم الذين يأْتُون من مكان بعيد . لسان العرب، ابن منظور (١/ ١١٤)

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، الطبري (٢/ ٣٦١) وسنده وإن كان فيه سيف بن عمر : فيه ضعف من جهة الرواية إلا أنه معتمد من جهة السيرة وله فيها مؤلفات كتاب الفتوح والردة ، وقد اعتمده كل من ألف في التاريخ والسير؛ لذا أستشهد بخبره ،قال ابن حجر: "ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ" تقريب التهذيب، ابن حجر (ص: ٢٦٢).

وعند التمكين وإنجاز الوعد يحلو التدبر ، روي (أنّ سعدا بن أبي وقاص خطب يوم القادسية، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن الله هو الحق: لا شريك له في الملك، وليس لقوله خُلْف؛ قال الله جلّ ثناؤه: **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ }** (الأنبياء: ١٠٥) إنَّ هذا ميراثُكم وموعودُ ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حِجَج، فأنتم تطعَمونها وتأكلون منها، وتقتلون أهلها وتَجْبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة وعزّ مَنْ وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة، جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرِّبُ ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهبْ ريحكم وتوبقوا آخرتكم) (١) .

ولما ذكرهم سعد بنعمة الله إذ مكنهم في البلاد ، وحكمهم في نواصي مخالفيهم من العباد تدبرها أخرى **(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ)** **(الأنبياء:١٠٥)** ؛ فحذرهم الاغترار بالدنيا ومنافستها والركون إليها؛ فينزعون صلاحا؛ فتزول النعمة وتذهب ريحهم **(وَلاَ تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)** [الأنفال: ٤٦] .

ثانيا : إيثار الآخرة على الدنيا

إن من أهم مقتضيات عقيدة المؤمن تصوره لهذه الحياة فمما يميز الشخصية الإسلامية إدراكها حقيقة الدنيا وأنها متاع زائل لاثبات له ولا دوام فلا اغترار ،وأن الآخرة هي دار القرار فإليها النظر والاعتبار قال تعالى : (**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ**) (الرعد:٢٦) (**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**) (غافر : ٣٩) (**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**) (الحديد:٢٠).

وفي آثار الصحابة الكرام وعطر أخبارهم دلالة على أن تدبر القرآن الكريم أكسبهم الحذر من الدنيا وعدم الاغترار بزهرتها .ومن ذلك ما روي عن (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى ، قَالَ : قَدِمَ عَلَى عُمَرَ نَاسٌ مِنْ الْعِرَاقِ، فَرَأَى كَأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ تَعْذِيرًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ؟ لَوْ شِئْت أَنْ يُدَهْمَقَ(٢)

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري (٢/ ٤٠٨) ويقال في إسناده ما قيل آنفا.

(٢) مَعْنَاهُ: لَوْ شِئْتُ أَن يُلَيَّنَ لِيَ الطعامُ ويُجَوَّدَ. لسان العرب، ابن منظور (١٠/ ١٠٧)

لِي كَمَا يُدَهْمَقُ لَكُمْ لَفَعَلْت ، وَلَكِنَّا نَسْتَبْقِي مِنْ دُنْيَانَا مَا نَجِدُهُ فِي آخِرَتِنَا ، أَمَا سَمِعْتُمَ اللَّهَ قَالَ : **{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمَ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}** . (الأحقاف: ٢٠)؟ (١).

وكذا روى (الشَّافِعِيُّ، عن غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– مَا أُصِيبَ مِنَ الْعِرَاقِ، قَالَ لَهُ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ: أَنَا أُدْخِلُهُ بَيْتَ الْمَالِ، قَالَ: لَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، لَا يُؤْوَى تَحْتَ سَقْفِ بَيْتٍ حَتَّى أَقْسِمَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَوُضِعَ فِي الْمَسْجِدِ، وَوُضِعَتْ عَلَيْهَا الْأَنْطَاعُ، وَحَرَسَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا مَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، أَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا، أَوْ أَحَدُهُمَا أَخَذَ يَدَهُ، فَلَمَّا رَأَوْهُ كَشَطُوا الْأَنْطَاعَ عَنِ الْأَمْوَالِ، فَرَأَى مَنْظَرًا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ، رَأَى الذَّهَبَ فِيهِ وَالْيَاقُوتَ وَالزَّبَرْجَدَ وَاللُّؤْلُؤَ يَتَلَأْلَأُ، فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا: إِنَّهُ وَاللهِ مَا هُوَ بِيَوْمِ بُكَاءٍ، وَلَكِنَّهُ يَوْمُ شُكْرٍ وَسُرُورٍ، فَقَالَ:إِنِّي وَاللهِ مَا ذَهَبْتُ حَيْثُ ذَهَبْتَ، وَلَكِنَّهُ وَاللهِ مَا كَثُرَ هَذَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا وَقَعَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقِبْلَةِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَدْرَجًا؛ فَإِنِّي أَسْمَعُكَ تَقُولُ: **{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ}** [الأعراف: ١٨٢] ..)(٢).

وبنحوه روى (الْحَسَنُ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ –رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ– أُتِىَ بِفَرْوَةِ كِسْرَى، فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفِى الْقَوْمِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، قَالَ: فَأَلْقَى إِلَيْهِ سِوَارَىْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فَجَعَلَهُمَا فِى يَدِهِ فَبَلَغَا مَنْكِبَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُمَا فِى يَدَىْ سُرَاقَةَ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ،سِوَارَىْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فِى يَدِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، أَعْرَابِىٌّ مِنْ بَنِى مُدْلِجٍ. ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَكَ –صلى الله عليه وسلم– كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصِيبَ مَالاً فَيُنْفِقَهُ فِى سَبِيلِكَ وَعَلَى عِبَادِكَ، وَزَوَيْتَ ذَلِكَ عَنْهُ نَظَرًا مِنْكَ لَهُ وَخِيَارًا، اللَّهُمَّ إِنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ –رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ– كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصِيبَ مَالاً فَيُنْفِقَهُ فِى سَبِيلِكَ وَعَلَى عِبَادِكَ، فَزَوَيْتَ ذَلِكَ عَنْهُ نَظَرًا مِنْكَ لَهُ وَخِيَارًا، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَكْرًا مِنْكَ بِعُمَرَ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) المصنف، ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٧٣)

(٢) الأم، الشافعي، (٤ / ١٥٧) . وقول الشافعي : عن غير واحد من أهل العلم مشعر بجواز الاستشهاد بهذه القصة عنده، والله أعلم .

تلى(**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ**) (المؤمنون:٥٥_٥٦) [١].

فلما وعى عمر عن كتاب الله أن اجتماع الدنيا وزينتها من مظاهر الاستدراج ، وسبب للتنافس فيها مفض إلى الهلاك زَهَدَ بها وآثر الآخرة عليها .

ثالثا :خشية الله واستعظام الذنب

تعد رقة الطبع والخشية من الله من أهم مظاهر المقوم العقدي للشخصية المسلمة جعلها الله شرطا للإيمان فقال: (**وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) (آل عمران : ١٧٥)، وأجزل العطاء لمن حققها، فقال : (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**)(الرحمن:٤٦) ، ومما يدل على أن تدبر الصحابة للقرآن أثمر خشية لله وإشفاقا من عذابه ما رواه (قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَاضِعًا رَأْسَهُ فِي حِجْرِ امْرَأَتِهِ فَبَكَى؛ فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ تَبْكِي فَبَكَيْتُ، قَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : {**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**}(مريم:٧١) فَلاَ أَدْرِي أَنَنْجُو مِنْهَا أَمْ لاَ)(٢).

وكذا نلمح من مظاهر الخشية في شخصية الصحابة استعظام الذنب وعدم استصغاره،وقفوا مع كتاب الله ،وتدبروا آياته، فأخافتهم عظاته، واستشعروا خطر الذنوب وخافوا الحساب، من ذلك ما روي في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ [**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ [**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**]" (لقمان : ١٣) (٣).

ومن أخبارهم أيضا مارواه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أنزلت:(**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا**) (الزلزلة:١)، وأبو بكر الصدّيق قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله –صلى الله عليه

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي (٦/ ٣٥٧) وسنده وإن كان فيه انقطاع بين الحسن وعمر رضي الله عنه، إلا أن اعتماد الشافعي وغيره لهذه القصة واستنباط الفوائد منها، وذكرها في دلائل النبوة يدلنا على اعتمادهم لها، والله أعلم.

(٢) المستدرك ، الحاكم (٤/ ٥٨٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وتعقبه الذهبي بأنه مرسل. قال الدكتور سعد آل حميد: الحديث بإسناد الحاكم ضعيف لإرساله، وهو بمجموع الطرق المتقدمة يرتقي لدرجة الحسن لغيره. هامش تحقيق مختصر تلخيص الذهبي، ابن الملقن (٧/ ٣٥٤٢).

(٣) الصحيح، البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب ما جاء في المتأولين (٦/ ٢٥٤١) ح ٦٩٣٨

وسلم-: "ما يُبْكِيكَ يا أبا بَكْرٍ؟" قال: يُبكيني هذه السورة، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لَوْلا أَنَّكُمْ تُخْطِئونَ وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ لَخَلَقَ اللهُ أُمَّةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ"(١).

ومن المواقف التي تدلنا بجلاء أن شخصية الصحابة -رضوان الله عليهم- صبغت بهذه الخشية عند تدبرها ما في القرآن من وعد ووعيد ما روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قرأ: **{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}** (سورة المطففون، الآية: ١) حتى بلغ: **{ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }** (الآية:٦) فبكى حتى خرّ وامتنع من قراءة ما بعده) (٢)، و عن نافع رضي الله عنه قال: (ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قطُّ من آخر سورة البقرة إلا بكى: **{ وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ}** (سورة البقرة، الآية: ٢٨٤) الآية ، ثم يقول: إنَّ هذا الإحصاء شديد) (٣). وعن نافع قال: (كان ابن عمر إذا قرأ: **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}** (سورة الحديد، الآية: ١٦) بكى حتى يغلبه البكاء) (٤).

رابعا : سرعة الامتثال وإجابة أمر الله على كل حال:

ومن ثمرات تدبر الصحابة لكتاب الله ما كان دليلا على صدق إيمانهم، أساسا في بناء شخصيتهم، وهو الامتثال لأمر الله وإجابته في كل حال ،أنهم صورة للجماعة المختارة التي تمثلت فيها حقيقة الإيمان فعلاً. فكلما دعاهم الله لبوا سمعنا وأطعنا.

نقرأ ذلك فيما رواه (جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ ، قَالَ : جَلَسْنَا إِلَى الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ بِدِمَشْقَ وَهُوَ عَلَى تَابُوتٍ مَا بِهِ عَنْهُ فَضْلٌ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَوْ قَعَدْتَ الْعَامَ عَنِ الْغَزْوِ . قَالَ : أَتَتْ عَلَيْنَا الْبُعُوثُ -يَعْنِي سُورَةَ التَّوْبَةِ- قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ **{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً}**(التوبة:٤١) وَلاَ أَجِدُنِي إِلاَّ خَفِيفًا)(٥).

وأيضا ما روي (عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ ، قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : **{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً}** فَقَالَ : اسْتَنْفَرَنَا اللَّهُ وَأَمَرَنَا اللَّهُ ، وَاسْتَنْفَرْنَا شُيُوخًا وَشَبَابًا جَهِّزُونِي ، فَقَالَ بَنَوْهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ قَدْ غَزَوْتَ

---

(١)جامع البيان، الطبري (٢٤/ ٥٥٣) بسند حسن.

(٢) الزهد، أحمد بن حنبل، (ص: ١٩٢) .في سنده إنقطاع.

(٣) الزهد ، أحمد بن حنبل ، (ص: ١٩٢) بسند حسن.

(٤) المصنف، ابن أبي شيبة (٧/ ١١٨) وسنده جيد كما قال ابن حجر. الإصابة ،ابن حجر (٤/ ١٨٧)

(٥) المستدرك، الحاكم (٢/ ٣٣٣) وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ الآنَ ، فَغَزَا الْبَحْرَ ، فَمَاتَ فَطَلَبُوا جَزِيرَةً يَدْفِنُونَهُ فِيهَا ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ إِلاَّ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَمَا تَغَيَّرَ)(١).

وكذلك ما روي (عَنْ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ أَقَامَ عَنِ الْجِهَادِ عَامًا وَاحِدًا ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : {**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**} فَغَزَا مِنْ عَامِهِ ، وَقَالَ : مَا رَأَيْت فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنْ رُخْصَةٍ) (٢).

فنلحظ أن الصحابة الثلاثة الذين تدبروا هذه الآية الكريمة أخذوا بعمومها فأجابوا ربهم على كل حال. يقول الحافظ ابن حجر : (وقد فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم؛ فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى مات، منهم: أبو أيوب الأنصاري، والمقداد بن الأسود، وغيرهم)(٣) .

وقال القسطلاني : ((انفروا خفافًا) لنشاطكم له (وثقالاً) عنه لمشقة عليكم، أو لقلة عيالكم ولكثرتها، أو ركبانًا ومشاة، أو خفافًا وثقالا من السلاح، أو صحاحًا ومراضًا، ولما فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم لم يتخلفوا عن الغزو حتى ماتوا ، منهم: أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود)(٤).

و عن صفية بنت شيبة قالت: (بينا نحن عند عائشة رضي الله عنها قال: فذكرنا نساء قريش وفضلهنَّ، فقالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ لنساء قريش لفضلاً، وإنِّي والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشدّ تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أُنزلت سورة النور {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} (سورة النور، الآية: ٣١) انقلب رجالهنَّ إليهنَّ يتلون عليهنَّ ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلاَّ قامت إلى مِرْطها المرحّل فاعتجرت به؛ تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحنَ وراء رسول الله متعجرات كأنَّ على رؤوسهن الغربا)(٥).

---

(١) الصحيح، ابن حبان، (١٦/ ١٥٢) ح٧١٨٤،و المستدرك - وهذا لفظه-، الحاكم (٣/ ٣٥٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة (٥/ ٣٠٥) وفي سنده ضعف.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، (٦/ ٣٨)

(٤)إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٥٦)

(٥) تفسير ابن أبى حاتم، ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٥)، وأصل الحديث في الصحيح، البخاري،كتاب ، التفسير ، باب باب { وليضربن بخمرهن على جيوبهن } (٤/ ١٧٨٠) ح ٤٤٨٠

فها هي عائشة أم المؤمنين تحمد لنساء قريش تدبرهنّ للقرآن، وسرعة امتثالهنّ لأمر الله: علامة إيمان، ومظهر صدق .

المطلب الثاني :المقوم التعبدي

من الأسس التي تميز شخصية المسلم الأساس التعبدي فإن هذه القيمة التعبدية هي التي بها النور، والإنسان محتاج إليها، فنور بصيرته وفهمه وأدبه مع الله إنما يستقى من قيمته التعبدية، فهي أساس عظيم من أسس شخصيته تستنير بها بصيرته ويستنير بها وجهه وقلبه ويصلح للتلقي عن الله سبحانه وتعالى والتفهم في كتابه(١)

وقد أسهم تدبر الصحابة لكتاب الله باهتماما بأمر العبادة وإدراكا لأثرها في تخفيف المصاب روى (عُبَادَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ عُبَادَةَ الْوَفَاةُ، قَالَ: " أَخْرِجُوا فِرَاشِي إِلَى الصَّحْنِ " - يَعْنِي: الدَّارَ - ثُمَّ قَالَ: " اجْمَعُوا إِلَيَّ مَوَالِيَّ، وَخَدَمِي، وَجِيرَانِي، وَمَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ ". فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ: " إِنَّ يَوْمِي هَذَا لَا أُرَاهُ إِلَّا آخِرَ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِلَيْكُمْ بِيَدِي أَوْ بِلِسَانِي شَيْءٍ، وَهُوَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ الْقَصَاصُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُحَرِّجُ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا اقْتَصَّ مِنِّي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي "، قَالَ: فَقَالُوا: بَلْ كُنْتَ وَالِدًا، وَكُنْتَ مُؤَدِّبًا، قَالَ: وَمَا قَالَ لِخَادِمٍ سُوءًا قَطُّ. فَقَالَ: " أَغَفَرْتُمْ لِي مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ "، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: " اللهُمَّ اشْهَدْ ". فَقَالَ: " أَمَّا لِي فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي، أُحَرِّجُ عَلَى إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَبْكِي، فَإِذَا أُخْرِجَتْ نَفْسِي فَتَوَضَئُوا وَأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ، ثُمَّ لِيَدْخُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَسْجِدًا فَيُصَلِّي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ لِعُبَادَه وَلِنَفْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: {**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**} [البقرة: ١٥٣]، ثُمَّ أَسْرِعُوا بِي إِلَى حُفْرَتِي، وَلَا تَتْبَعْنِي نَارٌ، وَلَا تَضَعُوا تَحْتِي أُرْجُوانًا "(٢).

فعبادة -رضي الله عنه- باعتباره وتدبره لكتاب الله تعالى وقف على ما هو شعار للمسلم، ومعين على تفريج الهم وإراحة الضمير، وهي العبادة من وضوء وصلاة ولزوم المساجد واستغفار، فذكرهم ودعاهم إلى التزامها .

---

(١) انظر شخصية المسلم ،محمد ولد الحسن الدووالشنقيطي ص ٣ تفريغ نصي موقع الاسلام ويب www.islam.web

(٢) الزهد، هناد (٢/ ٤٠٥)، شعب الإيمان، البيهقي (١٢/ ١٧٤) بسند حسن.

المطلب الثالث :المقوم السياسي (الولاء والبراء)

تعد قضية الولاء والبراء من القضايا المفصلية في الشخصية الإسلامية، وهي من المسائل التي لا تقبل التمييع، كما أنها لا تقبل أنصاف الحلول، وقد جاءت الآيات القرآنية حاسمة في هذا الباب واضحة أيّما وضوح، تعرف المؤمن لمن يكون ولاؤه وعلى من تكون عداوته م فلا ولاء لغير الله ولغير أهل الله، ومن المواقف التي تدل على أثر القرآن في بناء شخصية الصحابة على عقيدة الولاء والبراء ما روي (عَنْ أَبِي مُوسَى –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– : أَنَّ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لأَبِي مُوسَى كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ يَرْفَعُ إِلَيْهِ ذَلِكَ؛ فَعَجِبَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَافِظٌ. وَقَالَ: إِنَّ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ – وَكَانَ جَاءَ مِنَ الشَّامِ– فَادْعُهُ فَلْيَقْرَأْ، قَالَ أَبُو مُوسَى: إِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ. فَقَالَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– : أَجُنُبٌ هُوَ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ نَصْرَانِيٌّ. قَالَ: فَانْتَهَرَنِي وَضَرَبَ فَخِذِي، وَقَالَ: أَخْرِجْهُ، وَقَرَأَ: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)(المائدة: ٥١) قَالَ أَبُو مُوسَى: وَاللَّهِ مَا تَوَلَّيْتُهُ؛ إِنَّمَا كَانَ يَكْتُبُ. قَالَ: أَمَا وَجَدْتَ فِي أَهْلِ الإِسْلاَمِ مَنْ يَكْتُبُ لَكَ؛ لاَ تُدْنِهِمْ إِذْ أَقْصَاهُمُ اللَّهُ، وَلاَ تَأْمَنْهُمْ إِذْ أَخَانَهُمُ اللَّهُ، وَلاَ تُعِزَّهُمْ بَعْدَ إِذْ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ، فَأَخْرَجَهُ) (١).

فانظر كيف غدا عمر رضي الله عنه لما تدبر الآية الكريمة حاسما في موضوع الولاء والبراء، وفي كل ما من شأنه أن يؤثر فيه، فرد أبلغ رد، و أبان أوضح بيان.

ولهذه المفاصلة نجد البيهقي أخرج هذه القصة في شعب الإيمان فقال: (السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ: وَهُوَ بَابٌ فِي مُبَاعَدَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**} [التوبة: ٧٣] ، وَقَالَ: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**} [التوبة: ١٢٣] وَقَالَ: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**} [الممتحنة: ١] إِلَى قَوْلِهِ: {**تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**} [الممتحنة: ١] ، ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللهِ فِي مَعْنَى مَا ذَكَرْنَا، قَالَ: فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا عَلَى أَنَّ

---

(١)السنن الكبرى، البيهقي (١٠/ ١٢٧) بسند حسن

الْمُسْلِمَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَادَّ كَافِرًا ، وَإِنْ كَانَ أَبَاهُ أَوِ ابْنَهُ أَوْ أَخَاهُ ، وَلَا يُقَارِبُهُ، وَلَا يُجْرِيهِ فِي الْخُلْطَةِ وَالصُّحْبَةِ مَجْرَى مُسْلِمٍ مِنْهُ)(١).

المطلب الرابع :المقوم السلوكي والأخلاقي

أولا : الترقي والكمال

ارتقت نفوس الصحابة رضوان الله عليهم لما تدبروا القرآن ووقفوا مع آياته، وصبغوا شخصياتهم بالسمو والرفعة، وتعالوا عن سفاسف الأمور حتى في الأوضاع التي تميل فيها النفس إلى شيء من ذلك، ومن المواقف التي تبين ذلك ما روي(أَنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي نَصْرٍ، فَطَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِالصَّدَاقِ كَامِلًا ، فَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِالْعَفْوِ مِنْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {**إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**} [البقرة: ٢٣٧] وَأَنَا أَحَقُّ بِالْعَفْوِ مِنْهَا) (٢).

فتدبر جبير بن مطعم هذه الآية الكريمة حمله على هذا الصنيع الكريم، مع أن النفس البشرية في حال إيقاع الطلاق تكون في اضطراب وغضب يحملان على التخلي عن المسؤولية، وربما محاولة الإيذاء بالطرف الآخر .

قال القرطبي: ((تأول قوله تعالى : {**أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**} يعني نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده) (٣).

ويقول الشيخ أبو زهرة: (فالله سبحانه وتعالى، حين ذكَّر المطلقين بالفضل الذي أنساهم إياه الغضب، صرفهم إلى الاتجاه إلى الكمال، والتعالي عن سفساف المشاحنات والمنازعات؛ ليكونوا هم الأعلين دائما، ولقد كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يتجهون ذلك الاتجاه السامي) (٤).

(وهكذا نرى مبلغ استجابة السلف الصالح لتوجيهات القرآن ووصاياه ، فأين المسلمون اليوم من هذه الوصايا والأحكام؟) (٥).

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي (١٢/ ٥)

(٢) السنن، الدارقطني (٤/ ٤٢١) . وهو حديث حسن.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، (٣/ ٢٠٦)

(٤) أبو زهرة، زهرة التفاسير ، (٢/ ٨٣٤)

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي، (١/ ٥٤٥)

ثانيا : محاسبة النفس والابتعاد عن المحرمات:

وهو من مراقبة الله والشعور بالمسؤولية التامة تجاه النفس لتخليصها من تبعات الموقف العظيم، فإن من حاسب نفسه في الدنيا، خفف عنها الحساب في الآخرة.ومن مواقف التدبر التي تبين هذا ما روي عن (عُمَر بْن الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال: " حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ {**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**}الحاقة: ١٨) (١). فإن عمر لما وقف أمام هذه الآية الكريمة وتدبر ما فيها من معان عمل بثمرة هذا التدبر، وقعّد لما ينبغي أن يقوم به الإنسان يوم يعرض على ربه –جل وعز– فقال: (حاسبوا أنفسكم...) يقول سهل التستري : (والعلم به أن تنظر أن هذا الحال للّه أو لغيره ، فإن كانت للّه استقررت عليها ، وإن كانت لغيره تركتها ، وهو المحاسبة التي أمر بها عمر – رضي اللّه عنه– حيث قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا. وقد كان عمر رضي اللّه عنه يضرب نفسه بالدرة في المحاسبة) (٢).

ويقول الشيخ ابن عثيمين : (ومن فوائد الآية: إثبات محاسبة العبد؛ لقوله تعالى: { يحاسبكم به الله }؛ ولهذا يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)؛ فينبغي للإنسان أن يكون كيساً يحاسب نفسه قبل أن يحاسَب؛ وإني لأعجب أن كثيراً من الناس إذا كان له تجارة دنيوية فإنه لا ينام حتى ينظر في الدفاتر: ما الذي خرج؟ وما الذي دخل؟ ...ولكننا في أعمالنا الأخروية عندنا تفريط – يعني- يندر يوماً من الأيام أن تقول: ماذا عملت اليوم؟ وتستغفر مما أسأت فيه، أو فرطت؛ وتحمد الله على ما قمت به من طاعته) (٣).

ثالثا :الشعور بالمسؤولية ومراعاة حقوق العباد

إن الإنسان محاسب عن نفسه وعمن يعول، وهو راع ومسؤول عن رعيته كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)

---

(١)محاسبة النفس، ابن أبي الدنيا، ص: ٢٢ وسنده جيد في بعض طرقه .

(٢)تفسير التستري ، سهل التستري، ص: ٧٥

(٣)تفسير القرآن، ابن عثيمين (٥/ ٣٤٥)

(١) ، وقد أكسب تدبر الصحابة للقرآن الكريم الشعور بهذه المسؤولية ، ومن ذلك ما رواه (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ، يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ {**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**} (طه: ١٣٢) (٢) .

فقد فهم عمر رضي الله عنه من الآية عموم الخطاب وإن خص لفظها بخطاب النبي –صلى الله عليه وسلم– فعمل بمضمونه شعورا منه بالمسؤولية تجاه من يعول .

رابعا : الاعتصام بالكتاب والسنة

مما يميز الشخصية المسلمة اعتصامها بكتاب ربها –جل وعز– وسنة نبيها –صلى الله عليه وسلم– في كل مقام خاصة في الفتن التي تزل فيها الأقدام، فلما وقعت فتنة ابن الزبير رضي الله عنهما؛ اختلفت مواقف الصحابة باختلاف اجتهاداتهم، وحفظ لنا التاريخ كيف عصمهم الله من الوقوع في هذه الفتنة حينما تدبروا آيات القرآن، ومن أبرز هذه المواقف ما رواه (نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ ضُيِّعُوا، وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ: يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي. فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ : {**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**}(البقرة:١٩٣). فَقَالَ: قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ. وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ الله) (٣).

وفي رواية أخرى (قَالَ الرجل: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلاَ تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ {**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**} (الحجرات:٩) إِلَى آخِرِ الآيَةِ. فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ لاَ تُقَاتِلَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَغْتَرُّ بِهَذِهِ الآيَةِ وَلاَ أُقَاتِلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتَرَّ بِهَذِهِ الآيَةِ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : {**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**}(النساء:٩٣) إِلَى آخِرِهَا. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ {**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**}. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذْ كَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلاً؛ فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا يَقْتُلُوهُ، وَإِمَّا يُوثِقُوهُ) (٤).

---

(١) الصحيح، البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (١/ ٣٠٣) ح ٨٥٣

(٢) مالك، الموطأ،(٢/ ١٦٢) ، وابن أبي الدنيا، التهجد وقيام الليل ص: ٤٩١ بسند صحيح.

(٣) الصحيح، البخاري،كتاب التفسير، باب { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ..} (٤/ ١٦٤٠) ح ٤٢٤٣

(٤) الصحيح، البخاري، باب { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله } (٤/ ١٧٠٥) ح٤٣٧٣

ومعنى كلام ابن عمر :(أنْ أخاطِر بِتَرْكي مُقْتَضى الأمْرِ بالأُولَى، أحَبُّ إليّ من أن أخاطِر بالدُّخول تَحت الآية الأخْرى) (١).

فتدبر ابن عمر للقرآن الكريم عصمه من أن تزل قدماه في وحل الفتنة فيسفك دما لا يحل له سفكه.

خامسا : الصبر عند المصيبة:

يعد الصبر من أبرز سمات إيجابية الشخصية الإسلامية؛ لذا نجد الحق تبارك وتعالى حث عليه وامتدح أهله في غير آية من ذلك قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) آل عمران (٢٠٠)، وقال (**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) (١٧٧)

فالإنسان إذا ابتلي بالمصائب يهلع ويجزع –- كما أخبر الله تعالى (إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ...)، إلا المسلم بتدبره لكتاب الله تعالى يؤمن أن كل ما يجري حوله إنما يقع بأمر الله وحده، وأن الواجب عليه هو الاحتساب، فالمصائب لا تقعده، بل يمضي قدما بفاعلية .

وقد أصيب الصحابة بمصائب عظام، وأعظمها وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قصت عائشة –رضي الله عنها– ما حصل يومها، فقالت:(لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ– وَأَبُو بَكْرٍ عِنْدَ امْرَأَتِهِ ، ابْنَةِ خَارِجَةَ بِالْعَوَالِي ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : لَمْ يَمُتِ النَّبِيُّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ– ، إِنَّمَا هُوَ بَعْضُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ عِنْدَ الْوَحْيِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ أَنْ يُمِيتَكَ مَرَّتَيْنِ ، قَدْ وَاللَّهِ مَاتَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ– ، وَعُمَرُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ– ، وَلاَ يَمُوتُ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ أُنَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَثِيرٍ وَأَرْجُلَهُمْ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ {**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ**

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣/ ٦٦١)

الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(آل عمران:١٤٤). قَالَ عُمَرُ : فَلَكَأَنِّي لَمْ أَقْرَأْهَا إِلاَّ يَوْمَئِذٍ) (١).

فيبدو جليا أثر تدبر أبي بكر لقول الحق تبارك وتعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ...)؛ حيث أكسب شخصيته ثباتا وصبرا ، ومضى إيجابيا فاعلا إلى صالح المسلمين .

وكذا ابتلي المؤمنون بأصناف من الابتلاء، لكنهم لما وقفوا مع القرآن وتدبروا آياته أكسبهم ذلك الشخصية الصابرة المحتسبة، فها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما أصيبت بفرية قيلت وإفك افتري، ما وجدت إلا الصبر في ضوء آية تدبرتها، قَالَتْ: (فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ:{**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**} يُوسُفُ: ١٨، قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي) (٢).

فتدبرت عائشة رضي الله عنها الآية الكريمة، وأنزلت نفسها منزلة يعقوب عليه السلام، فتمثلت شخصيته وصبرت صبره.

قال القسطلاني : (أي: صفتي كصفة يعقوب عليه الصلاة والسلام حيث صبر صبرًا جميلاً وقال: والله المستعان) (٣).

سادسا :الفراسة و إدراك مآلات الأمور

تعد الفراسة من المميزات النادرة التي تتمتع بها الشخصية المسلمة؛ ذلك أنها تكسبها استشراف المستقبل، وتوقع أحداثه. وفي القرآن الكريم آيات تلهم من يتدبرها التنبوؤ بمآلات الأمور، ومن الحوادث التي جرت مع الصحابة الكرام ما روى (زَهْدَمٌ الْجَرْمِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي سَمَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ:إِنِّي مُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِسِرٍّ وَلا عَلانِيَةٍ: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ مَا كَانَ يَعْنِي عُثْمَانَ،

---

(١) السنن، ابن ماجة، كتاب الجنائز ، بَابُ ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ (٢/ ٥٤٩)ح١٦٢٧ و هو بنحوه في الصحيح، البخاري، كتاب الفضائل، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (لو كنت متخذا خليلا) (٣/ ١٣٣٧) ح ٣٤٦٧

(٢) البخاري ، الصحيح ، باب حادثة الإفك (٤/ ١٥١٧) ح ٣٩١٠

(٣) إرشاد الساري، القسطلاني (٧/ ١٧٩)

قُلْتُ لِعَلِيٍّ: اعْتَزِلْ، فَلَوْ كُنْتَ فِي جُحْرٍ طُلِبْتَ حَتَّى تُسْتَخْرَجَ، فَعَصَانِي، وَايْمُ اللَّهِ لَيَتَأَمَّرَنَّ عَلَيْكُمْ مُعَاوِيَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا**) [الإسراء آية ٣٣] ، وَلَتَحْمِلَنَّكُمْ قُرَيْشٌ عَلَى سُنَّةِ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَلَيَتَمَنَّنَ) (١).

قال ابن كثير رحمه الله: (وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة، وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان، وقد قتل عثمان مظلومًا –رضي الله عنه– وكان معاوية يطالب عليًا –رضي الله عنه– أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم؛ لأنه أموي، وكان علي –رضي الله عنه– يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك، ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام، فيأبى معاوية ذلك؛ حتى يسلمه القتلة، وأبى أن يبايع عليًا هو وأهل الشام، ثم مع المطاولة تمكن معاوية، وصار الأمر إليه كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة. وهذا من الأمر العجب وقد روى ذلك الطبراني في معجمه) (٢).

ومن المواقف التي تدل على استشراف المستقبل بتدبر الآيات ما روى (أَبو لَيْلَى الْكِنْدِيُّ قَالَ : شَهِدْتُ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَاطَّلَعَ مِنْ كُوٍّ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لاَ تَقْتُلُونِي ، وَاسْتَتِيبُونِي ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُونِي ، لاَ تُصَلُّونَ جَمِيعًا أَبَدًا ، وَلاَ تُجَاهِدُونَ عَدُوًّا جَمِيعًا أَبَدًا ، وَلَتَخْتَلِفُنَّ حَتَّى تَصِيرُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ قَالَ : (**يَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ**) (هود:٨٩) . وَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ فَقَالَ : مَا تَرَى ؟ فَقَالَ : الْكَفَّ الْكَفَّ ؛ فَإِنَّهُ أَبْلَغُ لَكَ فِي الْحُجَّةِ) (٣).

وها هو عثمان رضي الله لما حظره الزنادقة الفجار، يحذرهم ويستشرف مستقبلهم، متدبرا الآية الكريمة التي تبين جزاء الأمم الظالمة من أمثالهم، وقد حصل لقتلته رضي الله عنه ما توقع: فشتت الله شملهم،وفرق جمعهم .

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير ،(٢٦٣/١٠) بسند صحيح رجاله ثقات.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(٥/ ٧٣)

(٣)الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٣/ ٧١) ، وقال الدكتور أكرم العمري إسناده حسن . عصر الخلافة الراشدة (ص: ٤٢٨).

سابعا : تحقيق العدل

تحقيق العدل مقصد عظيم، والسعي الجاد إلى الإنصاف إمارة على شخصية مسلمة: منضبطة بأوامر الله، متمثلة لآياته، وقد جاءت النصوص الكريمة صريحة في ضرورة التزامه في شتى مجالات الحياة، من ذلك قوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**) (النحل: ٩٠) وقوله (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**) (النساء: ٥٨) وقوله: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) (سورة الأنعام: ٨).

ومن الأحداث التي تبين أثر تدبر القرآن في تحقيق العدل، في جانب توزيع الأموال، ما روي عن أمير المؤمنين عمر –الذي التزم العدل حتى صار علما عليه ولقب بالفاروق– ما روى (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ –رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ–، يَقُولُ : اجْتَمِعُوا لِهَذَا الْمَالِ؛ فَانْظُرُوا لِمَنْ تَرَوْنَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : إِنِّى أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَجْتَمِعُوا لِهَذَا الْمَالِ فَتَنْظُرُوا لِمَنْ تَرَوْنَهُ، وَإِنِّى قَدْ قَرَأْتُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: (**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) (الحشر: ٧) ، وَاللَّهِ مَا هُوَ لِهَؤُلاَءِ وَحْدَهُمْ. (**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**) الآيَةَ (الحشر: ٩)، وَاللَّهِ مَا هُوَ لِهَؤُلاَءِ وَحْدَهُمْ (**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ**) الآيَةَ (الحشر: ١٠)، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ لَهُ حَقٌّ فِى هَذَا الْمَالِ: أُعْطِىَ مِنْهُ، أَوْ مُنِعَ، حَتَّى رَاعٍ بِعَدَنَ)(١).

وفي رواية أخرى (عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فِى قِصَّةٍ ذَكَرَهَا، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ (**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**) إِلَى آخِرِ الآيَةِ (التوبة: ٦٠) ، فَقَالَ : هَذِهِ لِهَؤُلاَءِ ثُمَّ تَلاَ (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**) إِلَى آخِرِ الآيَةِ (الأنفال: ٤١)،

---

(١)السنن الكبرى، البيهقي (٦/ ٣٥١) بسند حسن.

ثُمَّ قَالَ : هَذَا لِهَؤُلاَءِ ثُمَّ تَلاَ (**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**) إِلَى آخِرِ الآيَةِ(الحشر:٧)، ثُمَّ قَرَأَ (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ**) إِلَى آخِرِ الآيَةِ(الحشر:٨)، ثُمَّ قَالَ : هَؤُلاَءِ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ تَلاَ (**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ**) إِلَى آخِرِ الآيَةِ(الحشر:٩)، فَقَالَ : هَؤُلاَءِ الأَنْصَارِ قَالَ وَقَالَ (**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**) إِلَى آخِرِ الآيَةِ (الحشر:١٠)، قَالَ : فَهَذِهِ اسْتَوْعَبَتِ النَّاسَ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ وَلَهُ فِى هَذَا الْمَالِ حَقٌّ إِلاَّ مَا تَمْلِكُونَ مِنْ رَقِيقِكُمْ، فَإِنْ أَعِشْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينِ إِلاَّ سَيَأْتِيهِ حَقُّهُ؛ حَتَّى الرَّاعِى بِسُرَّ وَحِمْيَرَ يَأْتِيهِ حَقُّهُ، وَلَمْ يَعْرَقْ فِيهِ جَبِينُهُ)(١).

فنلحظ من هاتين الروايتين الحرص الشديد من عمر –رضي الله عنه– ليحقق العدالة في توزيع أموال بيت مال المسلمين، فجمع أهل الحل والعقد، ثم قام ليلته يقرأ كتاب الله ويتدبر آياته؛ حتى هداه الله عز وجل لقسمة عادلة: تعطي كل مسلم حقه في هذا المال وإن لم يعرق فيه جبينه .

ثامنا : إنزال الناس منازلهم ومعرفة فضلهم:

من السمات المطلوبة في الشخصية المسلمة أن تنزل الناس منازلهم، وتعرف لذوي الفضل فضلهم، وهذه السمة نص عليها المنهج النبوي فقال صلى الله عليه وسلم : (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)(٢)

وقد أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية الصحابة على هذا الخلق الرفيع، ومما يحفظ عنهم في هذا الباب ما روي عن أبي الزِّناد قال: قال رجل لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال المهاجرين والأنصار قدَّموا أبا بكر وأنت أوفى منه مَنْقَبَة، وأقدم منه سِلماً، وأسبق سابقة؟ قال: إن كنت مقرشياً فأحسبك من عائذة، قال: نعم، قال: لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك، ولئن بقيت ليأتينَّك مني روعة حصراء، ويحك إن أبا بكر سبقني إلى أربع: سبقني إلى الإمامة، وتقديم الإمامة، وتقديم الهجرة وإلى الغار، وإفشاء الإسلام؛ ويحك إن الله ذمَّ الناس كلَّهم ومدح أبا بكر فقال: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} (سورة التوبة، الآية ٤٠) الآية)(٣).

---

(١)السنن الكبرى، البيهقي (٦/ ٣٥١) بسند صحيح .

(٢) السنن، أبو داود، كتاب الأدب، باب فِى تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ (٤/ ٤١١)ح٤٨٤٤ ، والحديث وإن كان فيه انقطاع فقد صححه غير واحد، ويشهد له أحاديث أخرى، وما اشتهر من فعله صلى الله عليه وسلم. ينظر : إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، القاضي عياض (١/ ٨٩)

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٩١/٣٠) بسند حسن .

فنلحظ كيف تدبر علي هذه الآية الكريمة والتمس ما فيها من مدحة لأبي بكر وعتاب لسائر الناس، فحفظ لأبي بكر منزلته وعرف له فضله فأنصفه حتى من نفسه .

تاسعا : التواضع ولين الجانب:

يعد التواضع والذلة للمؤمنين من أبرز صفات المؤمنين، وهي سمة امتدحها القرآن الكريم فيهم فقال : ({**مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**} (**المائدة:٥٤**)، وتبرز هذه الصفة ويعظم شأنها حين يتلبس بها أصحاب الشخصيات المهابة كعمر بن الخطاب حيث يروي (أَبو يَزِيدَ يَعْنِي الْمَدَنِيَّ ، قَالَ : لَقِيَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ ، يُقَالُ لَهَا : خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ – وَهُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّاسِ – فَاسْتَوْقَفَتْهُ ، فَوَقَفَ لَهَا وَدَنَا مِنْهَا وَأَصْغَى إِلَيْهَا رَأْسَهُ ، حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا وَانْصَرَفَتْ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَبَسْتَ رِجَالاَتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ ؟ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : لاَ . قَالَ : هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَنْصَرِفْ عَنِّي إِلَى اللَّيْلِ مَا انْصَرَفْتُ عَنْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا ، إِلَّا أَنْ تَحْضُرَ صَلاَةٌ فَأُصَلِّيَهَا ، ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَيْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا) (١).

فنلحظ كيف أَلانَ عمرُ جانبه وتواضع لامرأة أغلظت له القول كما في بعض الروايات –وهو خليفة المسلمين–، وجاء فعله هذا استعظاما لمكانة هذه المرأة حينما تدبر الآية التي نزلت في شأنها، وكيف أن الله يبارك وتعالى استمع شكايتها؛ فإذا كان الخالق تبارك وتعالى استمع قولها فالمخلوق لازم له ذلك .

وذا علي رضي الله عنه يتدبر آية كريمة فيحولها إلى سلوك يتمثله كما روى عنه زاذان:(أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال، يرشد الضال، ويَنْشُد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبيّاع والبقّال فيفتح عليه القرآن، ويقرأ { **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**} (سورة القصص، الآية: ٨٣) ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة على سائر الناس) (٢).

---

(١)الرد على الجهمية، الدارمي (ص: ٥٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،ابن عبد البر (٤/ ١٨٣٠) وقال: وروينا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس، فمرّ بعجوز فاستوقفته.

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٨٩)، بسند حسن إلى أبي يزيد المدني الراوي عن عمر ولم يدركه ولكنه أدرك ابن عمر وابن عباس وطبقتهم رضي الله عنهم ، وينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٨/ ٦)

وهذا المعنى الذي فهمه عليّ، هو المعنى الذي فهمه ابن عباس رضي الله عنهم(١).

عاشرا : العفو والتسامح

إن خلق العفو والتسامح خلق عظيم لا يستطيعه إلا كبار النفوس؛ لأنه إلغاء لحظ النفس، وامتثال لأمر الله ،وصف الله نفسه بالعفو، فقال: (**إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**) (الحج:٦٠) وأمر به نبيه: (**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**)(المائدة:١٣)، (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**)(الأعراف:١٩٩) ، كما أمر به المؤمنين: (**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**) (النور:٢٢) .

وقد تمثل الصحابة هذا الخلق تدبرا لآيات القرآن الكريم ، فمن ذلك ما روي عن أبي حبيبة مولى طلحة– رضي الله عنه– قال: (دخلت على علي –رضي الله عنه– مع عِمران بن طلحة بعدما فرغ من أصحاب الجمل. قال: فرحَّب به وأدناه، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل: {**وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مّنْ غِلّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** } (سورة الحجر، الآية: ٤٧). فقال: يا ابن أخي كيف فلانة؟ كيف فلانة؟ قال: وسأله عن أمهات أولاد أبيه، قال ثم قال: لم نقبض أرضكم هذه السنين إلاّ مخافة أن ينتهبها الناس، يا فلان انطلق معه إلى ابن قرظَة مُرْه فليعطِه غلَّة هذه السنين ويدفع إليه أرضه، قال: فقال رجلان جالسان ناحيةً أحدهما الحارث الأعور: الله أعدل من ذلك أن نقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة، قال: قُوما أبعد أرض الله وأسحقَها، فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة، يا ابن أخي إذا كانت لك حاجة فأتِنا)(٢).

ويدرك العفو الذي تمثَّله علي حينما يعلم أن طلحة قتل يوم وقعة الجمل، وكان في الفريق المخالف لعلي رضي الله عن الجميع(٣).

ويتجلى هذا الخلق الرفيع في شخصية أبي بكر –رضي الله عنه– في حادثة يشق على النفس أن تعفو فيها عن المسيء؛ وذلك في حادثة الإفك، حيث تورط في إشاعة الإفك امرؤ لطالما كان لأبي بكر يد عنده، توجب عليه أن يمسك لسانه وإن كان الخبر صحيحا فكيف به وهو إفك مفترى، فلمّا نزلت آيات البراءة بحق الطهر والعفاف، قالت عائشة: (فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لاَ يَنْفَعَ مِسْطَحًا بِنَافِعَةٍ أَبَدًا؛

---

(١)فتح البيان في مقاصد القرآن،القنوجي (١٠/ ١٥٧)

(٢) المستدرك ، الحاكم (٣/ ٤٢٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٤٠)

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ **{وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ}** إِلَى آخِرِ الآيَةِ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ **{وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ}** ، يَعْنِي مِسْطَحًا ، إِلَى قَوْلِهِ **{أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (النور:٢٢) حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى، وَاللَّهِ يَا رَبَّنَا إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ لَهُ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ) (١) .

وكذا سجل للصحابة كظم الغيظ وترك الغضب والانتقام معلما بارزا في شخصياتهم ،ومن المواقف الموضحة لهذا السمة الشخصية ما روى (ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ ، كُهُولاً كَانُوا ، أَوْ شُبَّانًا ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لاِبْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي ، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ ، فَاسْتَأْذِنْلِي عَلَيْهِ ، قَالَ : سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللهِ ، مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ -صلى الله عليه وسلم- : **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ}** الأعراف ١١٩ . وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ(٢).

قال ابن حجر: (ومعنى ما جاوزها ما عمل بغير ما دلت عليه بل عمل بمقتضاها؛ ولذلك قال: وكان وقافا عند كتاب الله، أي: يعمل بما فيه ولا يتجاوزه) (٣).

وقد أدرك أصحاب عمر وأهله هذه السمة في شخصيته، فها هو (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ،يروي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : جَاءَ بِلاَلٌ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ عَلَى عُمَرَ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، فَقَالَ : يَا أَسْلَمُ كَيْفَ تَجِدُونَ عُمَرَ ؟ فَقُلْتُ : خَيْرُ النَّاسِ ، إِلاَّ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ فَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَقَالَ بِلاَلٌ : لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ إِذَا غَضِبَ قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ؛ حَتَّى يَذْهَبَ غَضَبُهُ) (٤)

---

(١) الصحيح، البخاري ،كتاب التفسير، باب قوله { إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا...) (٤/ ١٧٧٩)ح٤٤٩٧

(٢)البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الأعراف (٤/ ١٧٠٢) ح٤٣٦٦.

(٣)فتح الباري، ابن حجر (١٣/ ٢٥٩)

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٣/ ٣٠٩)

و(عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : مَا رَأَيْتُ عُمَرَ غَضِبَ قَطُّ فَذُكِرَ اللَّهُ عِنْدَهُ ، أَوْ خُوِّفَ ، أَوْ قَرَأَ عِنْدَهُ إِنْسَانٌ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ وَقَفَ عَمَّا كَانَ يُرِيدُ) (١) .

الحادي عشر :الاعتراف بالخطأ والبعد عن المكابرة

من الصفات السلبية التي تحملها النفس البشرية المكابرة وترك الاعتراف بالخطأ، أما الشخصية الإيجابية فهي التي تؤمن بوقوع الخطأ مع حرصها على ألا يقع، وإذا وقع فإنها تعترف به، وتندم عليه، وتحاول إصلاحه، وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذا المعنى الإيجابي وامتداح لمن اتصف به ، فقال: **(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** (١)(آل عمران ١٣٥-١٣٦).

وبتتبع تدبر الصحابة لكتاب الله الكريم، وقفت على بعض المواقف التي ترسم هذه السمة الشخصية فيهم، فمن ذلك: (ما رواه أبو الضحى ، عَمَّنْ سَمِعَ عَائِشَةَ إِذَا قَرَأَتْ: {**وَقَرْنَ فِي بُيُوْتِكُنَّ**} [الأَحْزَابُ: ٣٣] بَكَتْ حَتَّى تَبُلَّ خِمَارَهَا) (٢)

يقول شيخ الإسلام: (وكذلك عائشة -رضي الله عنها- ندمت على مسيرها إلى البصرة، وكانت إذا ذكرته تبكي حتى تبل خمارها) (٣).

فعائشة -رضي الله عنها- اجتهدت في الفتنة التي جرت بين علي -رضي الله عنه-، ومعاوية -رضي الله عنه-، فلما انقضت الفتنة، وذهبت بما خلفته من قتلى من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، استشعر كبار الصحابة — على اختلاف اجتهادهم — خطأ ما جرى وندموا عليه .

قال الألوسي تعليقا على بكاء عائشة: (وما ذاك إلا لأن قراءتها تذكرها الواقعة التي قتل فيها كثير من المسلمين ، وهذا كما أن الأمير كرّم اللّه تعالى وجهه أحزنه ذلك ، فقد صح أنه رضي اللّه تعالى عنه لما وقع الانهزام على من مع أم المؤمنين، وقُتِل مَن قُتِل من الجمعين طاف في مقتل القتلى؛ فكان يضرب على فخذيه، ويقول : يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيا) (٤).

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٣/ ٣٠٩)

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ٢٤١ (ص: ١٦٤)

(٣) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٦/ ١٢٩)

(٤) روح المعانى . نسخة محققة (١١/ ١٩١)

ومن المواقف التي تبين اعتراف الصحابة بالخطأ ومعالجته ما رواه (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، أَنَّهُ حَرَسَ لَيْلَةً مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– بِالْمَدِينَةِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ شَبَّ لَهُمْ سِرَاجٌ فِي بَيْتٍ؛ فَانْطَلَقُوا يَؤُمُّونَهُ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهُ إِذَا بَابٌ مُجَافٌ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ فِيهِ أَصْوَاتٌ مُرْتَفِعَةٌ ، فَقَالَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : أَتَدْرِي بَيْتُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : هَذَا بَيْتُ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَهُمُ الآنَ شَرْبٌ، فَمَا تَرَى ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَرَى قَدْ أَتَيْنَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، نَهَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : **{وَلاَ تَجَسَّسُوا}** (الحجرات:١٢) فَقَدْ تَجَسَّسْنَا؛ فَانْصَرَفَ عُمَرُ عَنْهُمْ وَتَرَكَهُم) (١).

فترك عمر –رضي الله عنه– دليل واضح على اعترافه بالخطأ ، قال الغزالي: (وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع) (٢).

ومن الأمثلة ما روي (عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: ركب عمر –رَضِيَ الله عَنْه– الْمِنْبَرَ، مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: لَا أَعْرِفَنَّ مَا زَادَ الصَّدَاقُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ نَزَلَ. فَاعْتَرَضَتْهُ امرأة من قريش، فقالت: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْ يَزِيدُوا فِي صدقاتهن إلى أربعمائة دِرْهَمٍ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: أَمَا سمعت الله تعالى يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ:**{وآتيتهم إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا}** الْآيَةَ (النساء:٢٠)، فَقَالَ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَرَكِبَ. فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَزِيدُوا فِي صَدُقَاتِهِنَّ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَ مِنْ مَالِهِ مَا أَحَبَّ أَوْ فَمَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ فَلْيَفْعَلْ) (٣).

ومما روي كذلك أنّ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: (إني لأبغض فلاناً، فقيل للرجل: ما شأن عمر يبغضك؟ فلما كثر القوم في الدار جاء، فقال: يا عمر، أَفَتَقْتُ في الإسلام فتقاً؟ قال: لا، قال: فجنيت جناية؟ قال: لا، قال: أحدَثْتُ حدثاً؟ قال: لا، قال: فعلامَ تبغضني؟ وقال الله: **{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ * فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً}** (سورة الأحزاب:

---

(١) تاريخ المدينة النبوية، ابن شبة(١/٣٨٢)،المستدرك، الحاكم(٤/٣٧٧)وقال:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي (٣/ ١٠٩)

(٣)المطالب العالية، ابن حجر (٨/ ٩٤) وهو عند أبي يعلى في الكبير . وقال ابن كثير: إسناده جيد قوي.
تفسيرالقرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ٢٤٤)

٥٨) فقد آذيتني فلا غفر الله لك، فقال عمر: صدق، والله ما فتق فتقاً، ولا، ولا، فاغفرها لي، فلم يزل به حتى غفر له) (١).

الثاني عشر : الشجاعة والإقدام

تعد الشجاعة من أبرز ما يميز الشخصية الإسلامية، وهي ثمرة الثقة بالله وجميل التوكل عليه و اليقين أن نفسا لن يصيبها إلا ما كتب الله لها، ومن المواقف التي تدل على أن تدبر القرآن الكريم أكسب الصحابة شجاعة لا نظير لها ما روي يوم القادسية حينما حال نهر دجلة بين المسلمين وعدوهم من الفرس، فقال حُجر بن عدي –رضي الله عنه–: (ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو إلاَّ هذه النطقة –يعني دجلة–!! { **ما كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً** } (سورة آل عمران: ١٤٥) ثم أقحم فرسه فلما أقحم أقحم الناس، فلما رآهم العدو، قالوا: ديوانه فهربوا) (٢).

قال ابن كثير: (وهذه الآية فيها تشجيع للجُبَناء وترغيب لهم في القتال؛ فإن الإقدام والإحجام لا يَنْقُص من العمر ولا يزيد فيه) (٣)

الثالث عشر :البذل والإنفاق في سبيل الله

لما وعى الصحابة عن القرآن حقيقة الدنيا وأنها مزرعة الآخرة، اندفعوا في البذل والعطاء؛ فلا شح ولا تقتير ،بل أنفقوا مما يحبون، يقرضون الله قرضا حسنا ، فنالوا البر وبشروا بالقبول من ذلك : ما روى عن (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **[لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ]** (آل عمران: ٩٢) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:**[لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ]** وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا

---

(١)ذم الثقلاء، ابن المزربان (ص: ٧١) بسند حسن .

(٢)تفسير ابن أبى حاتم، ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٩) ، وانظر: كرامات الأولياء، اللالكائي (ص: ١٥٣) وسنده حسن إلى الأعمش وهو يقول عن بعض أصحابه.

(٣)تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ١٢٩)

صَدَقَةٌ لِلهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " بَخٍ (بَخْ) ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ") (١). فننظر كيف حمل التدبر أبا طلحة على أن يتصدق بخير ماله، فحمد له النبي صلى الله عليه وسلم تفاعله الإيجابي مع التوجيه الرباني.

و منه ما روى (عَبْدِ اللهُ بْنُ مَعُودٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ **{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}** (البقرة:٢٥٤). قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي ، حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِئَةِ نَخْلَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ وَفِيهِ أُمُّ الدَّحْدَاحِ فِي عِيَالِهَا فَنَادَاهَا : يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ ، قَالَتْ : لَبَّيْكَ ، قَالَ : اخْرُجِي ، فَإِنِّي أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِئَةِ نَخْلَةٍ)(٢).

فيلحظ كيف أن أبا الدحداح -رضي الله عنه- آثر ما عند الله تعالى لما تدبر قوله تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) ، فتأتيه بشرى النبي صلى الله عليه وسلم (كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ) (٣).

ومن المواقف كذلك ما روي (عن عمر -رضي الله عنه- أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه- أن يبتاع له جارية من سبي جَلُولاء، فدعا بها، فقال: إن الله يقول: **{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}** (آل عمران: ٩٢) فأعتقها عمر) (٤).

وكذا روى محمد بن المنكدر قال : لما نزلت هذه الآية **{ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ }** جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها شبلة لم يكن له مال أحب اليه منها، فقال : هي صدقة ، فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عليها ابنه أسامة، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في وجه زيد فقال : إن الله قد قبلها منك) (٥).

---

(١) الصحيح، البخاري ، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب (٢/ ٥٣٠) ح١٣٩٢

(٢)المسند البزار، (٥/ ٤٠٢) وقال الهيثمي : (رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، (٩/ ٢٩٥)

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، ابن الجوزي (ص: ١٠١). والحديث في المسند، أحمد بن حنبل (٣/ ١٤٦) بسند صحيح.

(٤) جامع البيان، الطبري (٦/ ٥٨٨)

(٥) التفسير، ابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٤)

المطلب الخامس :المقوم الاقتصادي

(ومبناه على أن المسلم يعلم أن الأرض وما فيها لله وحده، وأن الرزق بيد الله، وأن المال مال الله، وما جعل تحت يده منه فليس له، وإنما هو أمانة عنده يتصرف فيها تصرف الوكيل ينتظر العزل في كل حين، والعزل إما أن يكون بالموت، وإما أن يكون بحجر، وإما أن يكون بالافتقار، وإما أن يكون بالسجن..

أو غير ذلك، وهذا ما نبه الله عليه بقوله: (**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**)[الحديد:٧] فهذا المال ليس لنا وإنما هو لله ونحن مستخلفون فيه مدة محددة لا نعلمها، ولكنها ستنتهي....)

ومما يقوض بناء الشخصية، ويذهب بثباتها ويفقدها مكانتها، الخوف على الرزق؛ لذا وجدنا الحق تبارك وتعالى يورد قضية الرزق مؤكدة بأساليب عدة نقرأ : (**وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**)(**الذاريات: ٢١-٢٢**) والإنسان متى اطمئن على رزقه عمل وسار قدما في حياته، وقد أكسب تدبر الصحابة لكتاب الله يقينا مطلقا بأن الرزق بيد الله وحده فجعلهم يراعون الأمانة ويأخذون القرارت الحاسمة ويمضون قدما في أعمالهم، ومن المواقف التي تدل على ذلك ما روي أن عُمَر قال لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَرْقَمَ: " أَقْسِمْ بَيْتَ الْمَالِ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، لَا بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فَقَالَ رَجُلٌ – وَهُوَ طَلْحَةُ –: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ حَبَسْتَ شَيْئًا بَعْدَهُ عَسَى أَنْ يَأْتِيكَ أَمْرٌ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَلَوْ تَرَكْتَ عُدَّةً لِنَائِبَةٍ إِنْ نَابَتِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ عُمَرُ: كَلِمَةٌ أَلْقَاهَا الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ ، لَقَّنَنِي اللهُ حُجَّتَهَا ، وَوَقَانِي فِتْنَتَهَا ، لَتَكُونَنَّ فِتْنَةً لِقَوْمٍ بَعْدِي ، أَعْصِي اللهَ الْعَامَ مَخَافَةَ عَامٍ قَابِلٍ؟ بَلْ أُعِدُّ لَهُمْ مَا أَعَدَّ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، يَقُولُ اللهُ {**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**} [الطلاق: ٣] ".(١)

وروي عنه من وجه آخر يتقوى به عن سلمة بن سعيد قال: أتي عمر بن الخطاب بمال، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا أمير المؤمنين، لو حبست من هذا المال في بيت المال لنائبة تكون أو أمرٍ يحدث، فقال...(٢).

---

(١)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم (٧/ ٢٩١) في سنده انقطاع. وهو في السنن الكبرى مختصرا دون ذكر الآية ، البيهقي، (٦/ ٣٥٧)بإسناد رجاله ثقات.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٤٤ /٣٣٩) وفي سنده ضعف .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات ،وبجوده وكرمه تتحقق الأمنيات ،وبفضله ومنه تبلغ الغايات ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد بن عبدالله المبعوث رحمة للعالمين ،وعلى صحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

بعد هذه الدراسة الماتعة مع هدي خير السلف حول مائدة القرآن ،يطيب لي أن أسجل أبرز النتائج وهي:

- شخصية الصحابة رضوان الله عليهم خير مثال للشخصية الإسلامية –بعد نبينا –صلى الله عليه وسلم ـــ بنوا ملامحها وأسسوا معالمها على هدي من الكتاب والسنة .
- الصحابة الكرام أعلام الفاهمين والمتدبرين لكتاب الله بما لديهم من أدوات ودعائم التدبر .
- جمع الصحابة بين الأثر المجمل والمبين للتدبر ،أعني التأثر والعمل .
- تعدد مقومات الشخصية التي أفادها الصحابة من خلال تدبرهم لكتاب الله وأهمها المقوم العقدي الذي يعد أساسا للمقومات الأخرى .
- لن تسعد الأمة ولن يصلح حالها إلا بما كان عليه سلفنا ومن هديهم الحرص على تدبر القرآن ،فما ضعفت الأمة إلا لابتعادها عن كتاب الله منبعها الأصيل .

التوصيات :

- الأخذ بالأساليب القرآنية والنبوية لبناء الشخصية الإسلامية وتهذيب السلوك الإنساني .
- الانطلاق من الدراسات النظرية حول التدبر إلى تلك التي تعنى بالوسائل والخطوات العملية والتطبيق والثمار ، فلا زالت درر الأخبار لم تفتق بعد فإن عنيت هذه الدراسة بعمل الصحابة فلازال هدي السلف من التابعين ومن بعدهم وهم خير القرون ينتظر التأمل .
- الاقتصار على مواقف التدبر والآثار المقبولة باتفاق كالصحيحة والحسنة ففيهما الغناء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرست المصادر والمراجع:

١. إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت ٥٠٥ هـ) ، دار المعرفة – بيروت.

٢. أخلاق أهل القرآن،الآجري:محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)،تحقيق:محمدعمرو، دار الكتب العلمية- بيروت،ط٣،١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣. إرْشَادُ السَّارِي لِشرح صَحِيح البخَاري، القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر المصري، أبو العباس (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، ط٧،١٣٢٣ هـ.

٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي(ت٤٦٣)، تحقيق:علي محمد البجاوي، ط١،دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٥. البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ)، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ط ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٦. بناء الشخصية الاسلامية المعاصرة، باسمة العسلي، دار الفكر – بيروت ، ط١، ١٩٩١م.

٧. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤٠٧هـ.

٨. تاريخ المدينة النبوية ، ابن شبه أبو زيد عمر النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ)،تحقيق : فهيم محمد شلتوت، الناشر : دار الفكر.

٩. تاريخ دمشق، ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق محب الدين العمروي وآخرون، دار الفكر، ط١، ١٩٩٧م.

١٠.تفسير ابن أبى حاتم ، المؤلف : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي(المتَوَفَّى سنة ٣٢٧ هـ) تحقيق : أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا .

١١.تفسير التسترى، التسترى أبو محمد سهل بن عبد الله، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

١٢.تفسير القرآن العظيم،ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، أبو الفداء (ت٧٧٤ هـ) : تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٣.تفسير عبد الرزاق، الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ)، دار الكتب العلمية ، ط١.

١٤.تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ١٩٩٧م.

١٥.التهجد وقيام الليل، ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي(ت ٢٨١هـ) ، تحقيق : مصلح بن جزاء الحارثي ، مكتبة الرشيد – الرياض، ط١ ، ١٩٩٨.

١٦.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

١٧.جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر (ت : ٣١٠هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط : ١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٨.الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله (ت: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٩.الجهاد ، أبو عبد الله ، عبد الله بن المبارك ، المرزوي (ت ١٨١) ، الدار التونسية – تونس.

٢٠.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

٢١.ذم الثقلاء ، المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف بن المحولي، مؤسسة علوم القرآن ، دار ابن كثير – الشارقة ، دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ.

٢٢.الرد على الجهمية ، الدارمي، عثمان بن سعيد أبو سعيد(ت ٢٨٠هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير – الكويت، ط٢ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٢٣.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤.الزهد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٥.الزهد، هناد بن السَّرِي الكوفي.(ت ٢٤٣هـ)، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.ط١ ، ١٤٠٦هـ.

٢٦.زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي.

٢٧.السنن ، الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٢٨.السنن ، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(المتوفى : ٢٧٣هـ)،كتب حواشيه : محمود خليل ، مكتبة أبي المعاطي.

٢٩.السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبناتال،ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣٠.الشخصية الاسلامية،دراسة قرآنية، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء، دار العلم للملايين- بيروت،ط٤، ١٩٨٦م.

٣١.شعب الإيمان ، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣٢.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ ، ١٤١٤هـ–١٩٩٣ م.

٣٣.الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن سعد، أبو عبد الله، البصري،(ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر – بيروت ط : ١، ١٩٦٨ م.

٣٤.عصر الخلافة الراشدة – محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، أكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان.

٣٥.فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ابن حجر، أحمد بن علي، العسقلاني، أبو الفضل (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.

٣٦.فتحُ البيان في مقاصد القرآن،أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٣٧.قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ،عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٨.لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت، ط١.

٣٩.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٧٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.

٤٠.محاسبة النفس ، ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: المسعتصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤١.مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، ابن الملقن ، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق وَدراسة: عَبد الله اللحَيدَان وسَعد آل حميَّد، دَارُ العَاصِمَة، الرياض - المملكة العربية السعودية،ط١، ١٤١١ هـ.

٤٢.المستدرك على الصحيحين، الحاكم ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري(ت٤٠٥ هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٤٣.المسند (المطبوع باسم البحر الزخار)، البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو (ت ٢٩٢ هـ) المحقق : محفوظ الرحمن زين الله وآخرون،مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١ ، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

٤٤.المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، العبسي، أبو بكر (ت: ٢٣٥هـ) ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط: ١.

٤٥.المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق : (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود ، دار العاصمة ، دار الغيث – السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٦.المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط٢.

٤٧.مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد اللاحم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

٤٨.المبادىء الأساسية لفهم القرآن، المودودي: أبو الأعلى، تعريب:خليل الحامدي،دار القلم – الكويت،ط١٣٩١،٣هـ-١٩٧١م.

٤٩.مقومات الشخصية المسلمة وأساليب بنائها في فكر سيد قطب،إبراهيم الزاملي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية-غزة، إشراف الدكتور :حمدان عبدالله،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٠.منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام(٧٢٨هـ) ، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة ، ط١ .

٥١.الموطأ ، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، صححه ورقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

٥٢.النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني، منشورات وزارة الاوقاف الاسلامية المغربية،ط١، ١٤١٣هـ - ٢٠١٠م.

٥٣.النهاية في غريب الحديث والأثر،ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.